أدب الاستصراخ في الأندلس
- النشأة والتطوّر -

أ. سيدي محمد بن كعبة
جامعة البليدة 02 – الجزائر

ملخص:

يعالج هذا البحث أدب الاستصراخ في الأندلس، والدور الذي لعبه كسلاح في معركة الوجود الأندلسي، متتبعا في ذلك مراحل نشأته وتطوّره وكيف استطاعت العقلية الأندلسية أن تبدع إبداعا جديدا من خلال المآسي التي عاشتها.

الكلمات المفتاحية: الأدب الأندلسي . أدب الاستصراخ . نشأة أدب الاستصراخ . تطوّر أدب الاستصراخ.

Abstract:

This research deals with the screaming literature in Andalusia, and the role that plays as an arm in the Battle of the Andalusian existence, following the stages of its creation and its evolution, and how the Andalusian Mentality could create a new literature through the tragedies it has lived.

KEY WRDS: Andalusian literature, creation causes, screaming literature, its evolution.

إنّ الظروف السياسية التي ألمت بشبه الجزيرة الأيبيرية منذ سقوط الخلافة الأموية في الأندلس وانفراط عقد الرقعة الأندلسية، وتوزعها على شكل ممالك ودويلات صغيرة في أوائل القرن الخامس الهجري، حتّى سقوطها نهائيا سنة 897هـ، أدت إلى حالة من التوجس والترقب لدى الأندلسيين، فأوجدت إحساسا بالرعب المستمر والخوف من العدوان الخارجي المتربص بهم؛ فالمناورات والحروب كانت لا تهدأ إلا لتبدأ، وهكذا كنّا نقرأ عبر التاريخ الأندلسي سقوط المدن واحدة عقب أخرى، وفي فترات متفاوتة.

وفي هذه الظروف الحرجة نشط أدب أملته المحنة، وأوجدته الحاجة، هدفه استنهاض الهمم، وشحذ العزائم، للوقوف في وجه هذا الانهيار العام، أطلق عليه **أدب الاستصراخ**.

وسنحاول في هذه المقالة أن نجيب عن مجموعة من الأسئلة لعل أبرزها:

- ما هو أدب الاستصراخ؟
- هل كان أدب الاستصراخ أندلسي النشأة؟
- هل كان للعقلية الأندلسية المبدعة أثر في ظهور هذا الفن الأدبي، أم أملته ظروف المحنة؟
- هل تطوّر هذا الفّن الأدبي وساير مراحل المحنة الأندلسية؟

1/تعريف أدب الاستصراخ:

أ . لـغة: الاستصراخ " لفظة مشتقة من مادة "ص. ر.خ" فهي تعني:« **. الصرخة الشديدة عند الفزع وقيل هو الفزع الشديد... . واصطرخ القوم، وتصارخوا واستصرخوا:استغاثوا»**[1].

والاستصراخ يعني الاستغاثة ويعنى الاستنجاد، ففي اللسان: «**استنجد الرجل إذا قوي بعد ضعف أو مرض، ويقال للرّجل إذا ضري بالرّجل واجترأ عليه بعد هيبته: قد استنجده فأنجده واستنجده فأنجده: استغاثه فأغاثه، واستنجده: استعانه»**[2].

وورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**...فَأَصْبَحَ فِي المَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ...**﴾[3].

قال الإمام **القرطبي**(ت671هـ): « **فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه، أي يستغيث به على قبطي آخر، وإنّما أغاثه لأن نصر المظلوم دين في الملل كلها على الأمم، وفرض في جميع الشرائع...»**[4].

---

[1] المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده، معهد المخطوطات لجامعة الدول العربية، تحقيق إبراهيم الأبياري،ط1، 1391هـ .1971م،مادة خ ر ص :36/5.

[2] لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط 1، سنة 2000، مادة صرخ:222/8.

[3] سورة القصص الآية:17.

[4] الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن محمد القرطبي، دار الفكر، لبنان، 1999: 7/ 3729.

ومن هنا نخلص إلى أن الاستصراخ والاستنجاد والاستغاثة تصب في المعنى اللغوي الواحد.

ب . اصـــطلاحا: لم نعثر في الأدب القديم على تعريف واضح لهذا النوع الأدبي، إلاّ أنه ومع تشعّب الدراسات الأدبية الحديثة درج بعض الباحثين المحدثين على تعريفه أو الإشارة إليه؛ فقد عرّفه **عبد العزيز عتيق** بقوله :«**هو شعر يقوم على استنهاض عزائم ملوك المغرب العربي في المحل الأول، وهمم المسلمين في شتى أقطارهم كي يهبّوا بباعث الأخوة الإسلامية لنجدة إخوانهم بالأندلس، ومدّ يد العون لهم في جهادهم ضد أعدائهم من نصارى الأندلس الذين أطمعهم ضعف ملوك المسلمين بها، فراحوا يضاعفون من غاراتهم على مدنهم ويهددون أهلها بالاكتساح الشامل**»[1].

كما عرّفه **محمد رضوان الداية** بقوله: « **ويراد به الشّعر الذّي نظمه شعراء الأندلس، وهو دعوة إلى الجهاد والدفاع، سجلوا فيه الأحداث التاريخية التّي جرت بين أهل الأندلس والدول المعادية...فوصفوا النكبات التي أصابت الأندلسيين ...، واستنهضوا الهمم، وتوسلوا إلى ذلك بالقيم التّي لا يجوز أن تهدر بين أبناء الأمة الواحدة....**»[2]. أما **بوزويتة الطرابلسي** فتعرّفه بقولها:« **أما الصريخ والاستصراخ شعرا*، فهوما استحدث في الإمارات الإسلامية المصطلح عليها بإمارات الثغور، من شعر يقوم على استنهاض همم الملوك،**

[1] الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت :413.

[2] في الأدب الأندلسي، محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت :160

وشحذ عزائم المسلمين للقيام بما يقتضيه الجهاد ضد النصارى من نصرة ونجدة»[1].

ما نستخلصه من هذين التعريفين، أنهما متقاربين ويصبّان في المعنى ذاته، فهو أدب يتناول هموم الأمّة، والسقوط الذي آلت إليه؛ وبالتالي فهو أدب ملتزم بقضايا المجتمع أساسا، يحدد الأسباب، ويستنهض الهمم، ويجوب الآفاق بحثا عن الدعم من قبل المصرخين.

2\عوامل نشأة أدب الاستصراخ:

نشأ هذا الفن الأدبي كنتيجة حتمية للمحنة التي عاشتها الأندلس، منذ أن فقدت البلاد وحدتها السياسية والعسكرية، وبدأت المدن الأندلسية تسقط تباعا في أيدي النصارى، فظهرت أصوات تنادي وتستصرخ من تراه قادرا على إصراخ الأندلس وتخليصها من مخالب النصرانية الحاقدة التي أعلنتها حربا صليبية على الجزيرة؛ وقد تصدى الأندلسيون لهذه الحملة بكل ما أوتوا من قوّة في دفاعهم عن وطنهم فكان الأدب أحد ميادينها.

ولكن ما هي الدوافع التي أدت بالأندلسيين إلى اتخاذ هذا الفن سبيلا ووسيلة للدفاع؟

[1] حياة الشعر في نهاية الأندلس، حسناء بوزويتة الطرابلسي، دار محمد علي، ط1، تونس، 2001 :568.

أ- تعلق الأندلسيين بأرضهم:

فقد فتنت الأندلس أدباءها واستهوتهم، فأبدعوا في وصفها والتغنّي بجمالها، وبَكَوها وحنُّوا إليها حين فارقوها، فالأندلس . عند أهلها . جنّة الله في أرضه، لا يملون من ذكرها، ووصف محاسنها؛ حتّى إن ذكرى الأندلس ما تزال ماثلة في نفوس حملة مفاتيح الدور والبيوت الأندلسية التّي يتوارثها الأبناء عن الآباء والأجداد لممتلكاتهم هناك، وهي ذكرى دخلت في نفوس العرب والمسلمين، ولو لم يدخل أحد من أجدادهم تلك الديّار؛ ومن يرجع إلى دواوين شعراء العرب في العصر الحديث[1] يجد الوجود الأندلسي ماثلا، وكأن العرب ما يزالون يحركون عجلة الحياة في ذلك الفردوس المفقود.

"فالأندلس كانت ولا تزال من أجمل بقاع الأرض وأنضرها، مما يأخذ بالألباب، ويسبح في روعته الخيال، ويبعث على تذوق الجمال، ومجاراة الطبيعة في بهائها ونضرتها، وقد امتازت هذه البلاد بين الأقطار التي فتحها العرب بجمال طبيعتها: من أشجار باسقة، وثمار يانعة، وأنهار جارية، وجبال خضرة، وطيور مغردة، وأبنية شاهقة، وقصور جميلة، ووجوه نضرة، ونسيم عليل. فملك كل ذلك من نفس العربي، ورقق من شعوره، وهذب من خياله، وصقل من ذوقه، وزاد من

[1] ينظر مثلا قصائد أحمد شوقي : يا نائح الطلح أشباه عوادينا نشجي لواديك أم نأسى لوادينا(الشوقيات 101/2 ، 177/1، 60/1...) الشوقيات : دار الكتاب العربي ، بيروت ، 171/2/1.
وكذلك عمر أبو ريشة ونزارقباني...

جمال شعره وفنون الكتابة لديه "[1].ويكفي أن نتمثّل بقطعة **لأبي عبد الله محمد بن سفر**[2] من رجال القرن السابع الهجري وكان شاعر ألمرية في عصره قال فيها:

فِـــي أَرْضِ أَنْـــدَلُسٍ تُـلْـتَـذُّ نَـعْمَـاءُ

وَلاَ يُـفَارِقُ فِيـهَا القَـلْـبَ سَـــرَّاءُ

وَلَيْـسَ فِـــي غَـيْـرِهَا بِالعَـيْشِ مُنْتَفَعٌ

وَلاَ تَـــقُـــومُ بِـحَقِّ الأُنْسِ صَهْبَاءُ

وَأَيْـــنَ يُـعْـدَلُ عَـــنْ أَرْضٍ تَـحُضُّ بِـــهَا

عَـلَى المُـــدَامَـةِ أَمْـــوَاهٌ وَأَفْـيَـاءُ

وَكَيْفَ لاَ يُـــــبْهِجُ الأَبْـصَارَ رُؤْيَـــتُـــهَا

وَكُلّ رَوْضٍ بِهَا فِـي الوَشْيِ صَـــنْعَاءُ

أَنْـهَـارُهَا فِـــضَـةٌ، وَالمِـــسْـــكُ تُـــرْبَـتُـهَا

وَالخزُّ رَوْضَـتُـهَا، وَالـدُّرُّ حَـصْـــبَاءُ

وَلِلْـــهَـوَاءِ بِـــهَا لُـــطْـــفٌ يَـــرُقُّ بِـــهِ

مَـــنْ لاَ يَـــرُقُّ، وَتَـــبْـدُومنهُ أَهْوَاءُ

---

[1] الأدب الأندلسي :التطور والتجديد ،د.محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، ط1، بيروت، لبنان، 1412.1992.

[2] ترجم له في البيان المغرب لابن عذاري المراكشي، تح د.شوقي ضيف دار المعارف مصر،2: 212.

لَيْسَ النَّسِيمُ الذِّي يَهْفُو بِـــهَا سَـــحَـــراً

وَلاَ انـــتِـــثَـــــــارُ لآلِـــي الطّلِّ أَنْدَاءُ

وَإِنَّـــمَا أَرَجُ النَّـــــــدِّ اسْـتِـثَـارَ بِـــــهَا

فِـــي مَاءِ وَرْدٍ فَـــطَابَتْ مِنْهُ أَرْجَاءُ

يسرد الشاعر في أبياته جملة من صفات الأندلس، وهي صفات كافية لتجعل كل من لا يعرفها يتعلق بها، فكيف بأبنائها المستظلين بظلها؟.....إلى أن يقول في ختام هذه الأبيات:

فِيهَا خَلَعْتُ عذَارِي مَا بِهِا عِوَضٌ

فَـهْيَ الرِّيَاضُ، وَكُـلُّ الأَرْضِ صَحْرَاءُ![1]

فهذا شعور عارم من الشاعر، ينوب عن أهل الأندلس جملة في التعبير عن التعلق بالأندلس، وفي النظر إلى بلادهم على أنها جنّة الأرض بلا منازع؛ وهو شعر رقيق، ينضح بمحبة الأندلس، والأنس بما فيها من جمال الطبيعة والأرض.

والأندلس بلاد جميلة خضرة، ماء وبساتين وأنهاراً وجبالاً وسهولاً، فاكهة ورياحين، ثمّ أضفت الحضارة الجديدة الوافدة عليها من الرقيّ ما جعل سكانها يحافظون على روح الجمال الطبيعي في بلدهم وينمّونه ويزيدون فيه، فأصبحت

[1] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقّري التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صاد، الطبعة 2، بيروت، 1968م، 209/1 . 210.

الأندلس أغنية عذبة في فم الشاعر ينشدها وهو بين ظهرانيها، أنشودة ساحرة على لسانه يرددها في كلّ حين، "وإذا كان الشعر في الأندلس ظاهرة أساسية من ظواهر البيئة فيه، فإنه لذلك قد تدخّل في كل شؤون الحياة وتخلّلها ووصفها وفرّغ نفسه لها، واحتفى بها كل الاحتفاء "، ولندع الشاعر الرقيق **ابن خفاجة** يصف بلاده، إذ يقول:

إِنَّ لِلْجـــــنَّةِ بِـالأَنْـدَلُسِ

مُجْتَـلَى حـــــسْنٍ وَرَيَّـا نَـفَسِ

فَسَنَا صُبْحَتِهَا مِن شَنَبٍ

وَدُجَـــى لَيْـلَـتِها مِـنْ لَـــعَسِ

وَإِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ صَبًا

صِحْتُ وَا شَوْقِى إِلَى الأَنْدَلُسِ[1]

ويشير أحد الباحثين إلى تعلّق الأندلسيين بأرضهم بقوله: «**إذا شئت أن تلتمس إبداع شعراء الأندلس وافتنانهم ودقة وصفهم، وجمال تصويرهم، وحلاوة معانيهم، وخصب خيالهم، فاسمعهم يذكرون الطبيعة الناعمة الناضرة، وينعتون زينتها وحُلاَهَا، وأصباغها وألوانها..... إلى ذلك من مفاتن الطبيعة والعمران. والأندلسي أشغف النّاس بالطبيعة...وإذا شئت أن تلتمس حبّ الوطن في الشعر**

[1] حياة وآثار ابن خفاجة، حمدان حجاجي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 236.

العربيّ، فاطلبه عند شعراء الأندلس ...وليس بينه (أي الشعر الأندلسي) وبين الشعر العباسي شبه من هذه الناحية، لأن العاطفة الوطنية ضعيفة في شعر المشارقة، لا تكاد تلمح لها خيالا إلاّ في النَّدَرَى...وحقّ لأهل الأندلس أن يتعبدوا لوطنهم، فإنّ هذا الصقع الجميل جدير بأن يمتلك القلوب ويستهويها»[1].

فالشاعر الأندلسي لم ينفك يتغنى بحبّ الأندلس ويلهج به لسانه، ويشيد بمحاسن بلده، ويعبّر عن التصاقه بتربته، ويفضله على سائر البلدان. وكان هذا الالتصاق بالطبيعة والبيئة الأندلسية مرآة تعكس الشعور الوطني الذي يختلج في نفوس الأندلسيين.

ب ـ فقدان الوحدة السياسية الجامعة:

فقد تمزّق عقد الخلافة الأموية بالأندلس سنة 422هـ، ولم تقم للبلاد قائمة بعد ذلك، إنّما الفضل ـ بعد الله ـ كان لأهل المغرب الذّين أبلو بلاء حسنا في تمديد عمر الأندلس بدءا بالمرابطين ثمّ الموحدين فالمرينيين والحفصيين والزيّانيين؛ ومن بين العوامل التّي جعلت الأندلسيين يفشلون في تحقيق وحدتهم:

***. بنية المجتمع الأندلسي :**

الذي كان خليطا من أجناس متعددة، فقد تألف جيش الفاتحين من الأمازيغ والعرب، وقد تمزقت وحدة هذا العنصر بمجرد الانتهاء من الفتح بسبب النزاع

[1] أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، بطرس البستاني، دار نظير عبود، توزيع دار الجيل، بيروت:78 . 79.

على الحكم، فكل فريق يرى أحقيته في الحكم، وكذلك بين العرب أنفسهم (القيسية واليمنية)، وهوما دفع بأبي الخطار حسام الكلبي سنة 125هـ .« **إلى توزيع جند الشام على كور الأندلس للحدّ من عصبيتهم القبلية، فأنزل كل فريق بالمكان المشابه للبيئة التّي أتى منها من المشرق، فكان نصيب أهل دمشق إلبيرة وأهل الأردن ريّة وأهل فلسطين شذونة وأهل حمص إشبيلية وأهل قنسرين جيّان، أمّا أهل مصر فلقد أنزلهم بباجة وتدمير**»[1]. فهذا التوزيع جعل العصبية لا تزول ولكنها تتحيّن الفرصة بزوال الحاكم القوي، إضافة إلى العنصر الجديد الذي ظهر أخريات القرن الثاني ألا وهو عنصر المولدين أبناء الداخلين في الإسلام من السكان الأصليين، والذين تفاقم خطرهم أيّام زعيمهم عمر بن حفصون، الذي كاد يقضي على الحكم العربيّ أيّام الأمير محمد بن عبد الرحمان وابنيه المنذر وعبدالله، إضافة إلى كل هذه العناصر فإننا نجد عنصر الصقالبة وهم طبقة العبيد داخل القصر الذّين كان لهم شأن كبير، إضافة إلى عنصري النصارى واليهود الذّين تمتعوا بكامل حقوقهم طبقا لما أقره الإسلام، وقد اعتلوا أعلى المناصب، ومع ذلك نجدهم كثيرا ما أثاروا الفتن كلما سمحت لهم الفرصة بذلك، مثل حركة الاستشهاد [2] التي قام بها النصارى زمن عبد الرحمن الأوسط.

---

[1] تاريخ افتتاح الأندلس، أبوبكر بن القوطية، المؤسسة الوطنية للكتاب، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، 1989:44. 45.

[2] حركة الاستشهاد قام بها النصارى المقيمين في الأندلس الإسلامية زمن عبد الرحمن الأوسط ،حيث يأتي النصراني أمام أحد القضاة ليسبّ الدين الإسلامي ونبي الإسلام فيقوم القاضي بالحكم عليه بالقتل ،ليعتبر النصراني نفسه استشهد في سبيل دينه.

***. العامل الصليبي:**

لم يكن انبعاث الروح الصليبية نتيجة لواقعة تغريب المعاهدين التي حدثت في عصر المرابطين . كما زعم غرسية غومس ولكن جذورها ترجع إلى أبعد من ذلك، فعلى الرغم من الحرية التي كان يتمتع بها النصارى في ظل التسامح الإسلاميّ، فإنهم كانوا يعمدون أحيانا إلى إثارة الفتن.

وإذا كان ذلك هو وضع النصارى المعاهدين داخل الدولة الإسلامية، فإن الروح الصليبية لدى إخوانهم في الإمارات المستقلة، بدأت أيّام ملوك الطوائف، مع الحملة الصليبية على مدينة بربشتر، التّي وقعت بتوجيه من البابا ألكسندر الثاني[1]، وتأكدت رسميا زمن المرابطين، حينما أعلن البابا يوربان الثاني[2] أوّل حملة صليبية سنة(1095م) على المشرق، وأصدر مرسوماً يحرّم على الإسبان أن يشتركوا في هذه الحرب لأن لديهم من الأعداء المسلمين في جزيرتهم، ما يكفي لإشعال نيران الحرب المقدسة [3].

*** . ضعف الحكّام:** منذ وفاة عبد الملك المظفّر بن المنصور بن أبي عامر لم يستطع أيّ حاكم أن يوحد الأندلس من جديد تحت راية واحدة بالرغم من المحاولات العديدة، فنكبة قرطبة في فجر القرن الخامس الهجري، كانت بداية

---

[1] ارتقى سدة البابوية من 1061 إلى 1073.

[2] ارتقى سدة البابوية من 1088 . 1099.

[3] دول الطوائف منذ قيامها وحتى الفتح المرابطي، عبد الله محمد عنان، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1997،4 :388.

لسلسلة من المحن، انتهت بتفكك وانقسام الدولة الإسلامية إلى دويلات متصارعة ومتقاتلة فيما بينها، بل إنّ بيت الإمارة الواحد كان منشقا على نفسه، كما جدّ الحكام في إرهاق الرعية بالضرائب التّي كانوا يؤدونها لملك قشتالة مقابل عدم التعرض لهم، وإسرافهم في حياة اللهو والفجور مما ولّد سخط العامة عليهم؛ فعاشوا في تناحر أدى أول الأمر إلى فقدان سيادتهم حين غشيهم المرابطون ثمّ الموحدون، وأدى آخر الأمر إلى انهيار الوجود الإسلامي أمام النفوذ الإسباني، يقول **المقّري**:" انقطعت الدولة الأموية من الأرض، وانتثر سلك الخلافة بالمغرب، وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف، وانتشر الأمراء والرؤساء من البربر والعرب والموالي بالجهات واقتسموا خطّتها وتغلّب بعضهم على بعض، واستقل أخيرا بأمرها، منهم ملوك استفحل أمرهم وعظم شأنهم وأقاموا على ذلك برهة من الزمان حتى قطع عليهم البحر ملك العدوة وصاحب مراكش أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فخلعهم وأخلى منهم الأرض."[1]

3/ نشأة أدب الاستصراخ:

تعود البدايات الأولى لظهور هذا الفن الأدبي إلى العصر الجاهلي، إلاّ أنه في تلك الفترة لم يكن فنا مستقلا بذاته، بل محشوًا في قصائد رثاء المدن والممالك خاصة، ذلك أننا نجد الشاعر يترنح بين البكاء والنحيب مرّة، ومرّة أخرى يلجأ إلى إيقاظ الهمم وشحذ العزائم لاسترجاع ما ضاع، على نحوما هو معروف

[1] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: 59/4.

عن الأسود بن يعفر[1] في رثائه لدولة المناذرة، وفي العصر العباسي حين حاصر طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون بغداد في حرب أخيه الأمين ورماها بالمجانيق وكثر فيها الحرق والهدم، بكاها غير شاعر عباسي بكاء مرّا [2].

وإذا انتقلنا إلى العدوة الأندلسية، فإننا نعثر على نموذج مبكر احتفظ لنا التاريخ به، متمثلاً في تلك المقطوعة التي خاطب بها **عباس بن ناصح** (ت238هـ) الأمير الحكم بن هشام(ت206هـ)، قائلا:

تَمَلْمَلَتُ فِي وَادِي الحِجَارَةِ مُسْئِدًا أُرَاعِـي نُجُوماً مَا يَرونَ تَغَيُّرَا

إِلَيْـــكَ أَبَالعَاصِي نَضَيْتُ مَطِيَّتِي تَسِـــيرُ بِـهِمّ سَارِياً وَمُهَجِّـرَا

تَدَارَكْ نِـــسَاءَ العَالَـــمِينَ بِنُصْرَةٍ فَإِنَّكَ أَحْرَى أَنْ تُغِيثَ وتَنْصُرَا.[3]

فقد بعث الحكم شاعره عباس بن ناصح إلى وادي الحجارة المصاقب للنصارى في منطقة الثغر الأعلى، فسمع امرأة تستغيث بالحكم وتلومه على تقصيره عن حمايتهم من النصارى، فلمّا عاد ودخل عليه أنشده القصيدة ، ووصف له خوف الثغر، واستصراخ المرأة باسمه، فأنف ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد، فخرج بعد ثلاث ليال إلى وادي الحجارة ومعه الشاعر.....، فغزا تلك

---

[1] الأسود بن يعفر: كان نديما للنعمان بن المنذر ،أظهر في شعره أسفا وحسرة على ذهاب ملك آل المنذر بالحيرة (معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، د.حاكم حبيب الكريطي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2000 :17).

[2] الخريمي، إبراهيم بن المهدي ..... (تاريخ الطبري 489/8).

[3] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: 331/1.

الناحية وأثخن فيها...، وأمر بضرب رقاب الأسرى بحضرة تلك المرأة وأنشد شعرا يردّ فيه على شاعره يبيّن له فيه أنه لبّى النداء:

أَلَمْ تَرَ يَا عَبَاسُ،أَنِّـــي أَجَبْتُهَا عَلَى البُعْدِ اقْتَادُ الخَمِيسَ المُظَفَّرَا

فَأَدْرَكْـتُ أَوْطَارًا وَبرَّدْتُ غِلَّةً وَنَفَّسْتُ مَـكْرُوباً وَأَغْنَيْتُ مُعْـسِرَا[1]

على أنه لم يُتح لهذه الصرخة ومعها التلبية من الشّهرة ما كان للصرخة المدوية التّي أطلقتها تلك المرأة للخليفة العباسي المعتصم بالله "وامعتصماه"، ربّما يكون لعناية المشارقة بتاريخهم وانتشار مؤلفاتهم.

وعندما هاجم الزنج البصرة سنة (275 هـ) وأحرقوا مسجدها الجامع وخربوها، بكاها الشّعراء وفي مقدمتهم **ابن الروميّ** الذي تفجع لها وتوجع " مستصرخا" الخليفة العباسي وجيوشه والأمّة جمعاء:

كَمْ خَذَلْنَا مِنْ نَاسِكٍ ذِي اجْتِهَادِ وَفَـــقِـيهٍ فِـــي دِيـنِهِ عَلاَّمِ

وَانْدَامِي عَـــلَى التَخَلُّفِ عَنْهُمْ وَقَـلِـــيلٌ عَـنْـهُمْ غَـنَاءُ نَدَامِي

وَاحَيَـــائِي مِنْـهُمُ إِذَا مَا الْتَـقَيْنَا وَهُـــمُ عِـنْدَ حَـــاكِمِ الحُكَّامِ

أَيُّ عُـــذْرٍ لَـــنَا وَأَيُّ جـــوَابٍ حِينَ نُدْعَـى عَـلَى رُؤُوسِ الأَنَامِ

أُمَـتِّي أَيْـنَ كُـنْتُمْ إِذْ دَعَتْـنِي حُـــرَّةٌ مِـــنْ كَـــرَائِمِ الأَقْـوَامِ

صَرَخَتْ :يَا مُحَمَّـــدَاهُ! فَـهَلاَّ قَـامَ فِيهَا رُعَـــاة حَـقّي مَـقَامِي

---

[1] المصدر نفسه: 331/1

....

أَنْقَذُوا سَبْيَهُمْ وَقَلَّ لَـــــهُمْ ذَا كَ حِفَـــــاظاً وَرَغْـــــبَةً لِلـْذِّمَامِ

عَــارُهُـــمْ لاَزِمٌ لَـــكُمْ أَيُّهَا النَّا سُ لأَنَّ الأَدْيَـــــــــانَ كَالأَرْحَـامِ [1]

وقد لبّاه الموفق أخو الخليفة وظلّ ينازل الزنج نزالا عنيفا حتى قضى على ثورتهم سنة270هـ؛ ويدور الزمن دورات، وإذا أعراب بنو هلال وسليم يزحفون إلى القيروان سنة449هـ، وينازلهم صاحبها المعز بن باديس الصنهاجي ويلحقون به هزيمة شديدة، ويضطر إلى ترك القيروان لهم وينحاز إلى المهدية عند ابنه تميم، ويدخلون القيروان فيحيلونها أنقاضا، ويفرّ كثير من علمائها ونابهي شعرائها وممن غادرها ابن شرف و**ابن رشيق القيرواني** الذّي قال:

وَالمُـــسْلِمُونَ مُقَسَّمُـونَ تَنَالُهُـمْ أَيْدِي العُصَاةِ بِـذِلَّةٍ وَهَوَانِ

يَسْتَصْرِخُونَ فَلاَ يُغَاثُ صَرِيخُهُمْ حَتَّى إِذَا سَئِمُوا مِنَ الإِرْنَانِ [2]

يتضح لنا مما سبق أن أدب الاستصراخ عُرف قديما، إلاّ أنه لم يحقق الاستقلالية التّامة والنضج إلاّ عند الأندلسيين نظرا للفتن والمحن والحروب التي

---

[1] ديوان ابن الروميّ، أبو الحسن بن العباس بن جريج، شرح مجيد طراد، دار الجيل، ط1، بيروت،1998: 135/6.

[2] ديوان ابن رشيق القيرواني، جمع وتحقيق محي الدين ديب وإشراف ياسين أيوبي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت: 208.

عاشتها الأندلس غداة انهيارها، وهذا ما دفع . في نظرنا. بأحد الباحثين إلى عدّه فنا أندلسيا مستحدثا كفني الموشح والزجل[1].

وقد مرّ هذا اللون الأدبي بمراحل متعددة، تبعاً للظروف العصيبة التي أحاطت بالرقعة الأندلسية، فالأديب هو لسان بيئته، وترجمان حالها، ولهذا نجد أدب الاستصراخ مرّ بمراحل مختلفة من التطوّر.

4/ تطوّر أدب الاستصراخ:

أ - أدب التحذير:

سبق النشأة الفعلية لأدب الاستصراخ أدب أطلق عليه "أدب التحذير" أو الاستشعار بالخطر الداهم، مع بداية الفتنة التي اجتاحت عاصمة الخلافة الإسلامية في الأندلس، حينما اجتمعت عليها غفلة الخليفة هشام المؤيّد ورعونة الحاجب عبد الرحمن شنجول، الذّي لم تعد تكفيه الحجابة بل تطلّع إلى الخلافة، «**فلم يكد يمُر شهر ونصف على تسلّمه الحجابة بعد موت أخيه، حتّى انتزع لنفسه ولاية العهد من الخليفة، فكان ذلك سبب انحراف أكابر الأندلس عن عبد الرحمن لمّا تبيّن لهم سخف عقله، وسرعته إلى نقل المملكة من خلفائها إليه دون غزاة ولا نصرة في حرب .... واهتبل بنوا مروان وشيعتهم بالبلد غرة العامريين فيما ارتكبوه من ذلك، فدبّت عقاربهم إلى الناس، وقاموا في قلب الدولة العامرية بجد وبصيرة ؛ فخلع الخليفة هشام المؤيد وحاجبه، ونصّب على**

[1] الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق :413.

رأس الخلافة محمد بن هشام بن عبد الجبار، وبتنصيب هذا الخليفة المشؤوم ينفتح باب الفتنة على مصراعيه، وتفقد الخلافة هيبتها لتصبح لعبة يبتدئ لها المغامرون من الأمراء بسرعة مذهلة، حيث انتقلت بينهم أربع عشرة مرّة، في مدة لا تتجاوز ثلاثا وعشرين سنة»[1].

وقد نظر أحد شعراء قرطبة آنذاك إلى الكيفيات التي كانت تنتقل بها الخلافة بين هؤلاء الأمراء، وإلى ما كان يرتكب من فظاعات، فرأى فيها بداية لمحنة لا تنتهي إلاّ بالقضاء على الأندلسيين. وقد كان خوفه من هذه الفتنة عظيما، وتصوّره لنتائجها مفجعا، ولذلك جاء تحذيره ممتزجاً بتقريع وتوبيخ عنيفين للأندلسيين الذّين انحرفوا عن الجادة، كما أنبأهم ـ إن لم يتداركوا أمرهم ـ بمستقبل قاتم، لا ينجومن التردي في ظلماته أحد، حيث يقول:

أَضَعْتُمُ الحَزْمَ فِي تَدْبِيرِ أَمْرِكُمُ ... سَتَعْلَمُونَ مَعاً عُقْبَى البَوَارِ غَدَا

فَلَوْ رَأَيْتُمْ بِعَيْنِ الفِكْرِ حَالَكُمُ ... بَكَيْتُمُ بِدَمٍ أَنْ دُمْتُمُ بَدَدَا

لَكِنَّ سُبْلَ العَمَى أَعْمَتْ بَصَائِرَكُم ... فَأَلْبَسَتْكُمْ ثِيَابًا لِلْبِلَى جُدُدَا

يَا أُمَّةً هَتَكَتْ مَسْتُورَ أُمِّتِهَا ... مَا كُلُّ مَنْ ذُلَّ أَعْطَى بِالصَّغَارِ يَدَا

فَاسْتَشْعِرُوا سُوءَ عُقْبَاكُمْ فَقَدْ شَمِلَتْ ... جَمِيعَكُمْ مِحْنَةٌ لاَ تَنْقَضِي أَبَدَا [2]

---

[1] الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، أحمد هيكل، دار المعارف مصر، ط 3، 1967م: 242.

[2] البيان المغرب لابن عذاري المراكشي، تح د.شوقي ضيف دار المعارف مصر، ج 110/3.

إن الشاعر ينظر بعين البصيرة ويستشعر الأهوال والمحن، مع ما تحمله من مخاطر الهلاك والزوّال، فالأبيات تشتمل على نقد سياسي واجتماعي، لأنّ الشاعر أبرز حالة الذّل والفرقة التّي أصابت الأندلسيين، وأبعدت ساستهم عما يجب أن يكونوا عليه من الحزم في تدبير شؤونهم، ففتنة قرطبة هي إيذان بفتح أبواب المحن الكبرى.

ويعد **السميسر**[1] أحد الشّعراء الذّين مثلوا هذا اللون الأدبي تمثيلا صادقا، إذ يقول:

نَـادِ المُـلُوكَ وَقُـلْ لَـهُمُ مَـاذَا الـذِّي أَحْـدَثْـتُمُ

أَسْـلَـمْـتُمُ الإِسْـلاَمَ فِـي أَسْـرِ العِدَى وَقَعَـدْتُـمُ

وَجَـبَ الـقِـيَّامُ عَـلَيْكُمُ إِذْ بِـالـنَـصَـارَى قُمْتُمُ

لاَ تُـنْـكِـرُوا شَـقَّ العَـصَا فَعَصَا النَـبِيِّ شَـقَقْتُمُ [2]

فالشاعر يعبّر عن سخطه وسخط النّاس جميعا على أولئك الحكام الذين شغلوا عن مصالح المسلمين بالجري وراء مصالحهم الخاصة، "وأصبح اهتمام كل

---

[1] السميسر هو خلف بن فرج الإلبيري، هجا عبد الله بن بلغين الصنهاجي بن حبوس صاحب غرناطة، والمعتصم بن صمادح الذي لم يسلم من هجائه.

[2] الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (542هـ)، تح: د.إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا . تونس، 1978 م. (542هـ)، تح: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1978: 885/2/1.

واحد منهم موزعا بين شراب يعكف عليه وجارية يتعشقها، وقينة يلذع لسماع صوتها، وحرب يشنّها على جيرانه، وتقاعسوا عن أداء فريضة الجهاد". [1]

وقد يرد النقد والتحذير في أسلوب تهكمي لاذع، مثلما جاء على لسان أبي **إسحاق الطرسوني**[2] بعد انهزام البلنسيين في موقعة بطرنة سنة 456هـ، حيث قال:

لَبِسُوا الحَدِيدَ إِلَى الوَغَى وَلَبِسْتُمُ حُلَلَ الحَرِيرِ عَلَيْكُمُ أَلْوَانَا

مَا كَانَ أَقْبَحَهُمْ وَأَحْسَنَكُمْ بِهَا لَوْ لَمْ يَكُنْ بِبَطُرْنَةَ مَا كَانَا [3]

فالشاعر يرجع سبب هزيمتهم إلى غرورهم وتهاونهم في الاستعداد للمعركة، واستهانتهم بما كان يمثله أعداؤهم من خطر داهم، ويتهمهم بالطيش والرعونة في تقدير الأمور؛ وفي ذلك تحذير لهم ولغيرهم من المتهاونين والمستخفّين بما يتهدد الأمة من أخطار.

كما صاغ الكاتب الشاعر **أبو عبد الله محمد الفازازي** أبياتا يحذر بها قومه، إذ يقول :

الرُّومُ تَضْرِبُ فِي البِلاَدَ وَتَغْنَمُ وَالْجَوْرُ يَأْخُذُ مَا بَقِي وَالمَغْرَمُ

---

[1] المصدر نفسه: 885/2/1.

[2] أبو إسحاق إبراهيم بن يعلّى الطرسونيّ، اشتهر بمدح الملك بن هود وجال بلاد الأندلس، قال هذين البيتين يصف خروج أهل بلنسية للقاء العدوّ في غير ثياب الحرب وهزيمتهم....(البيان المغرب 457/2)

[3] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: 178/1.

وَالمَالُ يُـورَدُ كُـــلُّـهُ قَـــشْتَالَـة وَالجُنْدُ تَسْقُطُ وَالرَعِيَّةُ تُسْلَمُ

وَذَوُو التَعَيُّنِ لَيْسَ فِـيهِمْ مُسْلِمٌ إلاَّ مُعِـينٌ فِـي الفَسَادِ مُسَلِّمُ

أَسَفِي عَلَى تِلْكَ البِلاَدِ وَأَهْلِهَـا اللهُ يَلْطُـفُ بِالجَمِيعِ وَيَـرْحَـمُ [1]

قيل إن هذه الأبيات وجدت برقعة في جيب هذا الشاعر يوم موته، ولمّا رفعت إلى سلطان بلده واطّلع عليها قال بعدما بكى:« صدق رحمه الله، ولو كان حياّ ضربت عنقه» [2].

وهكذا نقلب صفحات التاريخ الأندلسي، فنجد أن الأدباء والشعراء قاموا بواجب التحذير والنقد تجاه الرعية والحكام من سوء المصير الذّي ينتظرهم إن استمروا على ما هم فيه من الفرقة والشقاق واللهو.

ب - أدب الاستصراخ:

لم يقصّر أدباء الأندلس وشعراؤها في تحذير قومهم من سوء المصير الذّي ستؤول إليه الأندلس إن لم يصلحوا حالهم ويتداركوا أمرهم، بعد أن عميت أبصارهم؛ وبينما هم على تلك الحال، إذ بخطب جلل ينزل بالثغر الأعلى (سرقسطة)؛ إنه سقوط بُربُشتر في أيدي النورمانديين سنة 456هـ؛ فقتّل أهلها تقتيلا فظيعا، ومثّل بجثثهم بعد أن أعطوهم الأمان على أنفسهم وأموالهم، وفي هذه الأثناء كان حال الأندلسي قد تغيّر بفعل ما جدّ من ترف الحضارة، « **فلم يعد**

---

[1] المصدر نفسه: 467/4.

[2] المصدر السابق: 467/4.

العربيّ يفكر في المبادرة بالغزو، واكتفى في هذه المرحلة بمحاولة الاحتفاظ بما لديه وحتّى إن أجبر على الحروب وكان النصر حليفه فهو لم يعد يجرؤ على استغلال ذلك النصر لتحقيق فتوحات جديدة على حساب الأراضي النصرانية بل نراه يميل إلى تجسيم انتصاراته على أعدائه من نبل الفروسية العربية وسموّ الأخلاق الإسلامية»[1].

وطبيعي أن يتحرك الشعب الأندلسي وفي طليعته الأدباء والشعراء لمواجهة هذا الوضع الخطير، فبدأت صيحات الاستصراخ والاستنجاد تعلو لاستنهاض الهمم ومدّ يد العون؛ فكان هذا التاريخ إيذانا بظهور فن أدبي يواكب أوضاع تلك المرحلة الحرجة، فظهر أدب الاستصراخ في صورته المكتملة.

وقد واكب أدب الاستصراخ مراحل المحنة التّي مرت بها الأندلس، فكان أوّل الأمر يقتصر على استصراخ أهل الأندلس، ثم بعدما يئسوا من حالتهم اتجهت أنظارهم إلى العدوة المغربية، ثمّ إلى المشرق، وقد اتخذ المضمون أشكالا شتى منها: «استصراخ مصحوب بالمديح واستصراخ يكون بالتعنيف والتقريع واستصراخ يكون بالدعوة إلى الجهاد»[2].

---

[1] الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي، جمعة شيخة، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، تونس،1994: 9/2.

[2] الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، 1974 :561.

5/ أنواع أدب الاستصراخ:

تنوّعت أشكال أدب الاستصراخ وتعددت مضامينه، فبعضهم كان يوظّف المدح لتحقيق غرضه، وآخر يستعمل التقريع لبلوغ مأربه، كما تنوعت الجهات التي وُجِهَت لها الصرخات، فبدأت بأهل الأندلس أولا على اختلاف مستوياتهم، ثم انتقلت لأهل المغرب على تعدد دوّلهم، وأخيرا استصرخوا إخوانهم في المشرق لعلهم ينجدونهم، وفي كل ذلك كان الأندلسي يبحث عن أيّ سبيل يستطيع أن يدعّمه ويصرخه في وجه الانهيار الذي أحاط به، وسنقصر حديثنا عن أنواع الجهات التي وجه لها الأندلسي صرخاته.

أ/ استصراخ أهل الأندلس:

. استصراخ أمراء الأندلس:

عندما سقطت بربشتر ظنّ المخلصون من أبناء الأندلس أن ملوك الطوائف سيتعظون من هذه الفاجعة وأنّهم سيعملون على استرجاع المدينة المسلوبة، فاتجهت الأنظار إلى أقواهم مستصرخة مستنجدة؛ فأرسل الفقيه أبو الحسن الهوزني [1] إلى المعتضد بن عبّاد رسالة يستصرخه لإنقاذ مدينة بربشتر المنكوبة، لأنه كان أقوى أمراء الطوائف وأشجعهم ، وخمّن أن لديه القدرة على ذلك، وأنه لا

[1] الهوزني من أهل إشبيلية، رحل إلى المشرق فحج سنة 444 هـ، جعله المعتضد بأعلى المحل وفوض إليه القليل والكثير، قتله المعتضد سنة 460 هـ.(المغرب في حلى المغرب لابن سعيد، تح شوقي ضيف، دار المعارف، مصر:234/1)

عذر له عن التخاذل وعدم تلبية داعي النفير، فاختار صديقه المعتضد وخصّه بهذه المهمة الجليلة التي قعد عنها جميع أمراء الجزيرة، فأرسل إليه يستثير عزيمته ويستنهض حميته على الجهاد، ونصرة مسلمي المدينة وغيرهم من مسلمي الثغور في رسالة جمع فيها بين النثر والشّعر، إذ يقول في وصف حال أهل بربشتر وتصوير ما أصابهم:«...**وكتابي عن حالة يشيب لشهودها مفرق الوليد، كما يغبرُّ لورودها وجه الصعيد، بدؤها ينسف الطريد والتالد، ويستأصل الوليد والوالد، تذر النساء أيامى، والأطفال يتامى، فلا أيِّمة إذا لم تبق أنثى، ولا يتيم والأطفالُ في قيد أسرى، بل تعمّ الجميع جما جما، فلا تخصّ، وتزدلف إليهم قُدُما قُدُما فلا تنكص**"[1] فالهوزني صوّر عموم تلك الكارثة وقساوتها؛ ثم وصف مأساة الإسلام في تلك المدينة: "**طمَّت حتّى خيف على عروة الإيمان الانفضاض، وطمت حتّى خُشي على عمود الإسلام منها الانقضاض، وسمت حتّى توقع على جناح الدّين الانهياض...**»[2]

ثمّ أتبعها بأبيات يستصرخ فيها المعتضد بقوله:

أَعَبَّادُ ضَاقَ الذَّرْعُ وَاتَّسَعَ الخَرْقُ وَلاَ غَرْبَ لِلْدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَكُنْ شَرْقُ

وَدُونَكَ قَوْلاً طَالَ وَهُوَ مُقَصِّرٌ فَلِلْعَيْنِ مَعْنًى لاَ يُعَبِّرُهُ النُّطْقُ

[1] الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (542هـ)، تحقيق: د.إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا . تونس، 1978 م: 1/2 :84.

[2] المصدر نفسه: 1/2/ :84.

إِلَيْكَ انْتَهَتْ آمَالُنَا فَارْمِ مَا دَهَى بِعَزْمِكَ يَدْمَغْ هَامَةَ البَاطِلِ الحقُّ [1]

يظهر في هذه الأبيات أن القائد الوحيد الذي بقدرته نجدة المدينة المنكوبة وإعادتها إلى حظيرة الدولة الإسلامية هو المعتضد، لأن غيره غافل عن الجهاد والدفاع عن حمى الأمّة، ولكنّ الأبيات تحمل في طياتها تقريعا للمعتضد وتحمله مسؤولية الدفاع والجهاد، فهو وحده المتجهة إليه الأنظار، وكأن الشاعر يريد توريط المعتضد في معركة ربّما لا يحالفه النصر فيها، أو هكذا تصوّر المعتضد، وربّما هذا هو السّر الذّي دفع حاكم إشبيلية لاستدعاء الفقيه الهوزني إلى إشبيلية وحين وصل قتله.

. استصراخ بني نصر:

تصدعت دولة الموحدين وتدهورت أوضاعها، وبدأت المدن تتساقط تباعا في أيدي النصّارى؛ فأحسّ الأندلسيون أن هذه الدولة لا تستطيع حمايتهم وأن عليهم مواجهة الموقف؛ فظهر على مسرح الأحداث محمد بن الأحمر رجل الأندلس القويّ، الذي أعاد للأندلسيين الأمل في إحياء مجدهم واسترجاع سيادتهم وأرضهم، ولعل أوّل ما قيل من الاستصراخ في هذا الطور قصيدة الشاعر **أبي إسحاق إبراهيم بن عبيد**، الذّي شهد سقوط المدن الأندلسية، وقيام الدولة النصرية، فراح مستصرخا مناديا محمد بن يوسف بن الأحمر مؤسس الدولة النصرية :

أَمِيـــــــرَ المُسْلِـمِينَ أَلاَ تَعُـودُ لأَنْـــدَلُسٍ بِهَا مَـــــرَضٌ شَـدِيـدُ

[1] المصدر نفسه: 2/1/85.

وَأَنْتَ طَبِيبُـــــــــهَا وَاللهُ يُشْـفِـي فَـــــمَالَكَ لاَ تُطِـــبُّ وَلاَ تَـعُودُ

فَجَيَّانٌ تُـنَـــــــــادِيكَ ابْنَ نَـصْرٍ أَلاَ مـــــــــالٌ يَـعُـودُ أَلاَ جُنُودُ

وَأَنتَ مَلِيكُهَا الضِّـــــرْغَامُ تَدْعُو لِنَصْرِ الـــدِّينِ لَـوْ نَفْسٌ تَجُودُ

حَمَى جَـــــيَّانَ سَيْفٌ لابنِ نَـصْرٍ وَهَلْ يَحْمِي الحِمَى إِلاَّ الأُسُودُ [1]

فالشاعر جعل من الأندلس ذلك المريض المبتلى، وجعل المغيث طبيبا شافيا، وهذا ضرب من الاستعطاف لاستمالة قلب المغيث، علّه يستجيب فيشفي ما أصـــاب الأنـــدلس وأهلهـــا، كمـــا ذكـــر جيّـــان دون غيرهـــا، وربّمـــا كان استعمالها للرمز فقط، لأن موضوع الاستصراخ فيما هو واضح هو الأندلس بعامة، خصوصا وأن الشاعر في البيت الموالي يعدد ما سقط من القواعد ويلمح إلى الفتن دون ذكرها بعينها، بل بصيغة العموم، يقول:

فَـكَمْ مِـنْ فِـتْنَةٍ عَـمْـيَاءَ فِيهَا شَـقِيتُ بِهَا وَمَا يَشْقَى السَّعِيدُ

كما يلجأ الشاعر إلى الاستغاثة خشية استفحال الشّر، واتساع رقعة المحنة، فيقول:

فَلَـوْلاَ نُـصْـرَةٌ لِسَـلْـيلِ نَصْرٍ تَمَلَّـــــكَهَا النَصَارَى وَالعَبِيدُ

وَمَا المَنْـصُورُ إِلاَّ مُسْتَـــــجِيبٌ وَعَـهْدُ النَّاصِرِينَ لَهُ جَـــدِيدُ [2]

---

[1] ينظر في: حياة الشعر في نهاية الأندلس :588.

[2] المرجع نفسه:588.

الناظر في هذه القصيدة بوعي وتدبّر، يدرك تمام الإدراك الحالة النفسية لأهل الأندلس، حيث القلق والحيرة والفتن تسود البلاد عقب الانهيار الذي عمّ الأندلس في منتصف القرن السابع.

. استصراخ يبحث عن القائد الفذّ:

كان الإنسان الأندلسي وهو في خضم الانهيارات والتنازلات يحن إلى مواقف بطولية وقواد يترأسون ويتسلمون زمام الأمور وفرسان يصيدون. فبانت هذه الروح على صفحة الشعور عند الشاعر وخطّت ببعض القصائد متنفسا لذلك الضغط الذي يواجهه الإنسان الأندلسي.

والبطولة في التراث العربي هي اجتماع الفضائل النفسية والخلقية في إنسان بحيث يصبح محط آمال المجتمع والملاذ والمثال يلجأ إليه الناس في أوقاتهم المنهارة أو العصبية. والأندلسيون لم ينظروا في تلك المراحل إلى هذا البطل وإن بدا الحنين إليه أمراً لازما خصوصا في محاولة يائسة لإيقاف الزحف النصراني والحيلولة دون انهيار البناء العربي الأندلسي. لكن بعد كارثة سقوط طليطلة التّي كان تآمر ملوك الطوائف مع الأذفونش سبباً مباشراً في سقوطها، فتأكد النّاس أن القيادة الرشيدة القادرة على المحافظة على البلاد منعدمة، فراحوا يبحثون عن الشخصية التي تتمتع ببعد النظر والشجاعة وحصافة الرأي، وقد كان الشّعراء ممن رفعوا صوتهم عاليا، يبحثون عن قائد قويّ يتمتع بقوّة الإرادة وحسن التصرف والحنكة العسكرية، كي ينقذ البلاد ويضيّق هوّة السقوط، وفي ظل

الافتقار للبطل الواقعي، يتصرف الوجدان إلى نسج صورة خيالية له، إذ يقول شاعر مجهول:

إِذَا لَمْ يَـكُنْ صَبْرٌ جَمِيلُ فَلَيْـسَ بِنَـافِعٍ عَدَدٌ كَـثِيرُ

أَلاَ رَجُـلٌ لَـهُ رَأْيٌ أَصِيلُ بِهِ مِمَا نُحَـاذِرُ نَسْـتَجِيرُ

يُبَـادِرُ خَرْقَـهَا قَبْلَ اتِسَاع لِخَطْبٍ مِنْـهُ تَنْـخَسِفُ البُـدُورُ

يُوَسِعُ لِلَذِّي يَلْقَاهُ صَدْرًا فَقَدْ ضَاقَتْ بِمَا تَلْقَى الصُدُورُ [1]

يتميز هذا القائد . كما يقول الشاعر. بالرأي الثاقب السديد، لأن حسن الرأي هو الذّي يُكسب المعركة، ويتحلى بالشجاعة وبذلك يكون قدوة لجنوده في الإقدام، فينهجون نهجه وتكتمل الشّجاعة مع الرأي السديد في جلب النصر، ويلح الشاعر على هذا القائد بالظهور، فالأمور لا تحتمل أكثر من ذلك، لأنّ مرور الوقت يجعل الهمم تفتر والعزائم تخور، ويصبح الأمر الواقع هو سيّد الموقف.

. استصراخ تحذيري في شكل تحريض:

وهذا النوع يقوم على مفهوم المخالفة، فالظاهر منه يدعو النّاس إلى ترك البلاد والهجرة منها، إلاّ أنه في حقيقته تحذير للنّاس وتنبؤ بسوء المصير في المستقبل، وعليه يتوجب تغيير هذا الوضع حتى تتفادى البلاد مخاطر الزوال، ومن هذا النوع قول الشاعر **ابن العسّال:**

[1] نفح الطيب :486/4.

يَا أَهْلَ أَنْدَلُسٍ حُثُّوا مَطِـيَّكُمُ فَـمَا المُـــقَامُ بِـهَا إِلاَّ مِنَ الغَـلَـطِ

الثَّوْبُ يَنْسَلُّ مِنْ أَطْرَافِهِ وَأَرَى ثَوْبَ الجَـزِيرَةِ مَنْسُولاً مِنَ الوَسَــطِ

وَنَحْنُ بَيْنَ عَـدُوٍّ لاَ يُفَــارِقُنَا كَيْفَ الحَيَاةُ مَعَ الحَيَّاتِ فِي سَفَطِ [1]

لقد نظم الشاعر هذه الأبيات بعد كارثة سقوط طليطلة، وهذه الأبيات في مجملها تحمل معاني التحذير في شكل تحريض على الفرار، فهو تحذير موح بالانهزام، ولكنها في حقيقته نوع من النقد السياسي للحكّام الذين اتّسموا بالتخاذل وعدم المقاومة، فابن العسّال أحسّ بهذا الموقف اللامسئول من قبل الحكّام، فالأفضل هو الفرار والخروج من الأندلس، وهذا الشعور نابع بالأساس من شدّة الشعور بوقع الكارثة وجسامة الخطر «**ولكن هذا اللون السلبي من التعبير كان يومئذ مبالغة في التنبيه والتذكير**» [2]، ويبدوإن **ابن العسّال** . وهو فقيه . قد اعتمد قاعدة أصولية، وهي أن المسلمين إذا أحسوا بالخطر يداهمهم من كلّ جانب، وجب عليهم حفظ دمائهم بأن يتراجعوا ليجمعوا شتاتهم ويوحدوا صفوفهم، ويضبطوا خطة قتالهم، فراح يناشد أولي الألباب ويستفيقهم من غفوتهم وغفلتهم.

ب/ استصراخ أهل المغرب:

ساءت أوضاع الأندلس، وزاد تدخل النصارى في شؤونهم الداخلية، كمضاعفة الجزية أومناصرة ملك على آخر، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل

---

[1] المصدر نفسه: 448/4.

[2] تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عباس دار الثقافة، بيروت: 147.

امتدّ إلى احتلال طليطلة، فتأكد للجميع أن الأمل الوحيد المتبقي هو طلب النصرة من أهل المغرب، فاجتهدوا في طلب العون منهم، وقد كان لقوة المرابطين أثر في تشجيعهم على الإقدام على هذا الأمر.

. استصراخ المرابطين:

لم يستطع الأندلسيون وحدهم استرجاع مدينة طليطلة أو وقف الزحف الصليبي المتقدم، « **فاتجهت أنظارهم صوب الدولة المرابطية على الشاطئ الآخر وتمّ الاستنجاد بيوسف بن تاشفين، وللأسف لم تصل إلينا قصائد في استصراخه، وربّما تكون ضاعت ضمن التراث الأندلسي الذي ضاع، أوإن الشّعراء لم تصدر عنهم أشعار في استصراخه لأن هؤلاء مرتبطون ببلاط ملوك الطوائف فلا يصدر عنهم إلاّ ما يمليه عليه واجبهم نحو ساداتهم وحماتهم»**[1]. لكن وصلنا نثر استصرخ فيه بعض ملوك الطوائف يوسف بن تاشفين صدر عن كتّابهم؛ من ذلك رسالة كتبها الوزير أبو عبد الله بن أيمن على لسان صاحب بطليوس إلى أمير المرابطين يستصرخه[2]، وكذلك رسالة بعث بها المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين بيّن فيها أن العرب في الأندلس تفرّقت كلمتهم ممّا أطمع فيهم عدوّهم أذفونش فأخذ منهم حصونا وقلاعا، يقول: «....**وقد ساءت الأحوال، وانقطعت الآمال، وأنت أيّدك الله ملك المغرب أبيضه وأسوده وسيّد حمير ومليكها الأكبر، وأميرها وزعيمها، نزعت بهمتي إليك، واستنصرت بالله ثم**

[1] الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي :37/2 .

[2] الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: 2/2: 653 ،654.

بك، واستغثت بحرمك لتجوزوا لجهاد هذا العدوّ الكافر وتحيوا شريعة الإسلام وتذبّوا عن دين محمد عليه الصلاة والسلام ولكم عند الله الثّواب الكريم»[1].

وقد وجدت مثل هذه الصرخات أذنا صاغية من يوسف بن تاشفين، فأعدّ جيشه ودخل الأندلس وحارب مع جيوشها وتمّ له نصر الزلاقة الشهير سنة 479هـ، لكن للأسف لم تسترجع طليطلة إلى حظيرة الدولة الإسلامية وسقطت نهائيا في أيدي الأسبان.

وقد حفظت لنا كتب التاريخ تلك الصرخة المدوية التي أطلقها الشاعر الفقيه، **أبو محمد عبد الحق بن عطية** [2] عقب سقوط "ميورقة" في أيدي الصلبيين سنة 509هـ، وقد خصّ بها أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، الذّي اتجهت إليه أنظار الميورقيين وتعلقت به آمالهم، راجية أن يسرع في نجدتهم لرفع الظلم عنهم، والأخذ لهم بالثأر من الأعداء الذين أبادوهم، وسبوا نساءهم وأطفالهم، وهتكوا الحرمات، ودنّسوا المقدسات، إذ يقول:

وَنَحْـوَ أَمِـيرِ المُسْـلِمِينَ تَطَامَحَتْ نَـــوَاظِـرُ آَمَـالٍ وَأَيْـــدِي رَغَـائِبِ

مِنَ النَّاسِ تَسْتَدْعِـي حَفِيظَةَ عَدْلِـهِ لِـصَـــدْمَةِ جَـوْرٍ فِي مَيُـورْقَ قَاصِبِ

---

[1] الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية في ذكر الأخبار المراكشية، لمؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن عشر (مجهول)، حققه د.سهيل زكار وأ. عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الطبعة 1، 1399هـ . 1979م: 45 . 46.

[2] عبد الحق بن عطيّة هو إمام وقاض عاش في الفترة(481 هـ . 546هـ)،له التفسير المشهور "المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" (النفح 265/2).

مُـقِيم فَـإِنْ لَـمْ يُـرْغِمِ السَّعْدُ أَنْـفَهُ أَلَـــمَّ فَـــوَافَـــى جَـــانِـبًا بَعْدَ جَانِبِ

لِقَتْلٍ وَسَـــبْيٍ وَاصْـــطِـــلاَمِ شَـــرِيعَةٍ لَقَدْ عَظُمَتْ فِي القَوْمِ سُوءُ المَصَائِبِ

لَنَا اللهُ وَالمَـلِكُ الـذِّي تُـــرْتَجَى بِهِ مِنَ الـــزَّمَـــنِ المِـــذْنَابِ رَجْـعَـــةُ تَـائِبِ

هُـــوَ الغَوْثُ فَاعْـطِـــفْهُ عَلَيْنَا بِنَظْرَةٍ مِنَ الحَزْمِ تَـحْتُو فِي وُجُوهِ النَّـــوَائِبِ[1]

. استصراخ الموحدين:

سقطت الدولة المرابطية وقامت على أنقاضها الدولة الموحدية، فقام الموحدون بضم الأندلس لملكهم، وبذلك أصبح أمر الجهاد تحت إمرتهم؛ فقرر عبد المؤمن بن علي العبور إلى الأندلس للجهاد سنة566هـ، وكلّف ابن طفيل أن يراسل قبائل قيس عيلان من العرب بإفريقية للجهاد في الأندلس ليستغلّ شجاعتهم ويخفف من القلاقل التي يحدثونها بين الفينة والأخرى، فأنشد **ابن طفيل** قصيدة يحثّهم فيها على الجهاد مطلعها:

أَقِيـــمُوا صُدُورَ الخَيْلِ نَحْوَ المَغَارِبِ لِغَزْوِ الأَعَـادِي وَاقْتِنَاءِ الرَّغَائِبِ

وحاول أن يثير فيهم النخوة بتذكيرهم بأصلهم العربيّ الذّي يأبى الضّيم، ولا يعرف رجاله التردد، ويندفعون ملبِّين واجب الإصراخ:

أَلاَ فَـــابْـعَـــثُـوهَا هِـمَّـةً عَـرَبِيَّـةً تَحُفُّ بِأَطْـــرَافِ القَنَا وَالقَوَاضِبِ

[1] قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ،الفتح بن خاقان تقديم محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس،1966 م :244 . 245.

أَفْرِسَانَ قَـيْسٍ مِنْ هِلاَلِ بْنِ عَـــامِرٍ وَمَـا جَمَعَتْ مِنْ طَاعِنٍ وَمُضَارِبِ

لكُمْ قُبَّةٌ لِلْمَـــجْدِ شُدُّوا عِـمَادَهَا بِـطَاعَةِ أَمْـــرِ اللهِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

وَقُومُوا لِنَصْرِ الـــدِّينِ قَـوْمَةَ ثَـــائِرٍ وَفِيـئُوا إِلَى التَّحْقِيقِ فَيْئَةَ رَاغِبِ[1]

. استصراخ الزيانيين :

إنّ الظرف السياسي المضطرب الذّي عاشته الدولة الزيانية، حال دون اضطلاعها بدور كبير في الحياة السياسية والحربية مع العدوة الأندلسية[2]، إلاّ أنها ومع ذلك لم تتخلف عن نصرة الأندلس وتقديم المساعدة لها، بعدما استصرخها أهل الأندلس، من ذلك تلك الإمدادات المالية والغذائية التي تحدّث عنها ابن الخطيب في رسالة السلطان محمد الخامس إلى أبي سعيد عثمان بن يغمراسن، وهي من إنشاء **ابن الخطيب:**

« المقام الذي تحدثت بسعادته دولة أسلافه، واتفق به قولها من بعد اختلافه، .....،...فإننا ورد علينا فلان، وصل الله كرامته وسنى سلامته صادرا عن جهتكم الرفيعة الجانب، السامية المراقب، طلق اللسان بالثناء بما خصّكم الله به من فضائل الشمائل، ... ووصل صحبته ما حملتم جفنة الطعام برسم إعانة هذه البلاد الأندلسية والأمداد الذي افتتحتم به ديوان أعمالكم السنية،

---

[1] الحلل الموشية: 46.

[2] بسبب النزاع المحتدم الذي كان قائما بين الزيانيين والمرينيين من جهة، ومع الحفصيين من جهة أخرى.

وأعربتم به عمالكم في سبيل الله من خالص النيّة، وأخبر أن ذلك إنما هو رشة من غمام وطليعة من جيش لهام، ...، وأن عزائمكم في الإعانة والإمداد على أولها ومكارمكم ينسى الماضي منها بمستقبلها، وقد ظهرت لله في حيّز تلك الإيالة الزيانية نتيجة تلك المقدمات، ...، أن فتح جيشنا حصنا من الحصون المجاورة لغربي مالقة يعرف بحصن قنيط من الحصون الشهيرة المعروفة والبقع المذكورة بالخصب الموصوفة،...»[1].

ثمّ أتبعها بأبيات شعرية في نفس المعنى:

أَنْتَ الذِّي أَمْدَدْتَ ثَغْرَ اللهِ بِالصَّـ ـدَقَـــاتِ تُبْلِسُ كَرَّةً إِبْـــلِيسَا

وَأَعَـــــنْتَ أَنْدَلُسًا بِكُلِّ سَبِيكَةٍ مَوْسُومَـــةٍ لاَ تَعْرِفُ التَدْلِيسَا [2]

. استصراخ عامة أهل المغرب:

اغتنم النصارى ضعف الموحدين، وتكاثر الفتن عليهم، فحاصروا عددا من المدن الأندلسية ومنها إشبيلية التي سقطت سنة 646 هـ، عندما كان الخليفة الموحدي المعتضد بالله السعدي مشغولا بحصاره الفاشل لمدينة تلمسان الزيانية[3]، فتأكد أهل الأندلس من وجوب التوجه إلى عامة أهل المغرب لعلّ الله يهيئ لها رجلا يعيد لها هيبتها وقوتها خاصة بعدما « **ارتسم في مخيلتهم صورة ذلك**

[1] صبح الأعشى، القلقشندي: 45/5. 46.

[2] دراسات في الأدب الأندلسي:69.

[3] تاريخ بني زيّان ملوك تلمسان، التنسي محمد بن عبد الله، تح محمد بوعياد، المؤسسة الوطنة للكتاب، الجزائر 1985م : 118.

الفارس العربي المسلم، التي رسمها في الذاكرة الجماعية للأندلسيين يوسف بن تاشفين؛ ومع ما تحمله تلك الصورة من آمال »[1].

وتمثّل قصيدة **أبي موسى هارون بن هارون** التي قالها عندما سقطت إشبيلية، واحدة من تلك الصرخات، إذ يقول :

يَا حِمْصُ أَقْصَدَكِ المَقْدُورُ حِينَ رَمَى لَمْ يــرْعَ فِيكِ الرَّدَى إِلاَّ وَلاَ ذِمَـمَا

جَـــــــرَتْ عَلَيْكِ يَـدٌ لِلدَّهْرِ ظَالِمَةٌ لاَ يَعْدِلُ الدَّهْرُ فِي شَيءٍ إِذَا حَكَمَا

فقد استهلّ قصيدته بالتفجّع على مدينته، ثمّ استعرض ما حلّ بها من كوارث أثناء الحصار، وما أسفر عنه من تخريب لمظاهر العمران، وتنكير لمعالم الإسلام، لينتقل إلى الاستصراخ والاستغاثة باكيا :

يَاعَيْنُ فَابْكِي عَلَى حِمْصٍ وَقُولِي لَهَا مِنْــكِ البُكَاءُ إِذَا لَمْ تُرْسِلِيهِ دَمَا

....

يَا أَهْلَ وَادِي الحِمَى بِالعُدْوَةِ انْتَعِشُوا هَذَا الذِّمَــاءُ فَقَدْ أَشْفَى بِهِ سَقَمَا [2]

حاول الشاعر جاهدا في استصراخه استثارة همم المستغاث بهم، وتحريك عزائمهم بعوامل شتى، ثمّ يركز على الجانب الديني رابطا إيّاه بالعامل الجغرافي، حيث يذّكر المغاربة بالواجبات التي يمليها عليهم حق الجوار، كما يذكرهم

[1] أدب المحنة الإسلامية في الأندلس :96.

[2] البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب : 382.

بأمجادهم التاريخية، ممثلة في فتح آبائهم وأجدادهم للأندلس ووجوب المحافظة على ذلك المجد .

ج/ استصراخ سلاطين المشرق:

توالى سقوط المدن والحصون الأندلسية في أيدي النصارى، ولم يبق في أيدي المسلمين في الربع الأخير من القرن السابع الهجري سوى إقليم غرناطة تحت حكم بني نصر كما أسلفنا. وبعد يأس الأندلسيين من نجدة المغاربة أو خوف بني نصر على ملكهم، قاموا باستصراخ سلاطين المشرق، يحدوهم الأمل في تحرير أرضهم، كما تحررت أرض المشرق، خاصة وأن العدوّ مشترك؛ ويورد المقّري في أزهار الرياض قصيدة كتبها أهل الجزيرة بعد سقوطها في أيدي الصليبيين، إلى السلطان العثماني بايزيد خان العثماني رحمه الله وهذا نصها: «.....**الحضرة العلية، وصل الله سعادتها، وأعلى كلمتها، ونهّد أقطارها، وأعزّ أنصارها، وأذلّ عداتها، حضرة مولانا، وعمدة ديننا ودنيانا، السلطان الملك الناصر،...، ملك العرب والعجم، والترك والدّيلم، ظل الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه، ملك البرّين، وسلطان البحرين،...**» وبعد هذه المقدمة الطويلة التي خلعوا فيها على السلطان ما يزيد على الأربعين لقباً، جاءت هذه الأبيات الشعرية:

سَـــلاَمٌ كَـــرِيمٌ دَائِـــــمٌ مُـتَـــــجَدِّدٌ أَخُـصُّ بِهِ مَـــــوْلاَيَ خَيْرَ خَلِيفَةِ

سَلاَمٌ عَلَى مَوْلاَيَ ذِي المَجْدِ وَالعُلاَ وَمَنْ أَلْبَسَ الـكُـفَّارَ ثَوْبَ المَذَلَّةِ

سَلاَمٌ عَـــلَى مَنْ وَسَّـعَ اللهُ مُـــلْكَهُ وَأَيَّـدَهُ بِالنَّـــصْـــرِ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ

سَلاَمٌ عَلَى مَـــوْلاَيَ فِـي دَارِ مُـــلكِهِ قُسَنْـــطِينَةُ أَكْـــــرِم بِهَا مِن مَدِينَةِ

سَلاَمٌ عَـــلَى مَن زَيّـــــنَ اللهُ مُـــلكَهُ بِجُنـدِ وأتراك مـــــن أَهْلِ الرِّعَايَةِ

سَلاَمٌ عَلَيْـــكُمْ شَـــرَّفَ اللهُ قَـــدْرَكُمُ وَزَادَكُـــم مُلكًا عَـــــــلَى كُلِّ مِلَّـةِ

سَلاَمٌ عَلَى القَاضِي وَمَـــنْ كَـانَ مِثْـــلَهُ مِنَ العُـــلَمَاءِ الأَكْـــرَمِـــينَ الأَجِلَةِ

....

وَثَمَّ سَـــــــــلاَمُ اللهِ تَـــــــتْلُوهُ رَحْمَـــةٌ عَلَيْكُمُ مَدَى الأَيَّامِ فِي كُلِّ سَاعَةِ[1]

6/ نتائج الدراسة:

. ظهر هذا الفن الأدبي في منتصف القرن الخامس الهجري.

. غرض هذا النوع الأدبي هو إيقاظ الضمائر وشحذ الهمم التي طالت غفلتها، ودعوة الأمة إلى ترك التواكل، والأخذ بأسباب النصر، ونبذ كل ما من شأنه أن يوسع هوّة الخلاف بين أفراد الأمة.

. لا نستطيع أن نحدد بدقة النتائج الملموسة للدور الذي قام به أدب الاستصراخ في معركة التصدي، ولا نستطيع أن نزعم بأن الناس كانوا يستجيبون دائما لنداءات

[1] أزهار الرياض في أخبار عياض شهاب الدين أحمد بن محمد المقّري التلمساني ،اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة الإمارات العربية المتحدة : 109/1 . 115.

الشعراء والكتّاب، غير أن الاستجابة كانت فورية ومباشرة أحيانا، كسينية ابن الأبار أو في قصيدة مالك بن المرحل...

. تعدّدت وجهات استصراخ الأندلسيين فقد خصوا في كلّ مرّة أول الأمر الجهات الرسمية كالملوك والسلاطين، وبعد ذلك رعاياهم، ثم بعد اشتداد الكروب عليهم راحوا يستصرخون من هم أبعدُ منهم جغرافية، حتى أننا نجدهم يستصرخون سلاطين بني عثمان في أخريات مسيرة نكبتهم.

. تحول أدب الاستصراخ إلى سلاح فعّال من أسلحة التصدي، فهو يحذر من الأخطار قبل وقوعها، وينتقد التهاون في مواجهتها والتصدي لها، ويحض الناس على الاستماتة في الدفاع عن حياض الأمة.

ابتعد الشعراء عن الموشحات والأزجال، ذلك أن الموضوع يحتاج إلى الجدّية.

. صدر شعر الاستصراخ عن عامة الشعراء في أغلب الأحيان، وعن الملوك حينا.

. سجّل أدباء الأندلس أحداث سقوط المدن.

. كَثُرَ توظيف الشعر في باب الاستصراخ أكثر من النثر، نظرا لطبيعة موضوع الاستصراخ، الذي يشيع فيه البكاء والنُواح.

وختاما نلاحظ أن الأندلسيين لم يتركوا بابا لنجدتهم ودفع البلاء عنهم إلاّ طرقوه، فبعدما يئسوا من ملوكهم، توجهوا إلى أهل المغرب، ثمّ ولوا وجوههم تجاه المشرق، ولكن كل تلك الصرخات لم تستطع وقف اندفاع العدوّ، سواء وجدت من يلبيها أو لم تجد. وعلى الرغم من ذلك نستطيع أن نلحظ أن الأندلسي استطاع أن

يصنع من المأساة التي كان يعاني منها فناً أدبياً راقياً، استطاع من خلاله أن يؤرخ لمأساته بما عرضه من صور وحشية اقترفتها أيدي الأعداء.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
2. الأدب الأندلسي :التطور والتجديد، د.محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، ط1، بيروت، لبنان، 1412هـ . 1992م.
3. الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، أحمد هيكل، دار المعارف مصر، ط 3، 1967م.
4. الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، 1974م.
5. الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت.
6. أدب المحنة الإسلامية في الأندلس، الربعي بن سلامة، جامعة الجزائر، 1991م.
7. أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، بطرس البستاني، دار نظير عبود، توزيع دار الجيل، بيروت.
8. أزهار الرياض في أخبار عياض شهاب الدين أحمد بن محمد المقّري التلمساني ،اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة الإمارات العربية المتحدة:ج1.
9. البيان المغرب لابن عذاري المراكشي، تح د.شوقي ضيف دار المعارف مصر، ج 2 و 3.
10. تاريخ افتتاح الأندلس، أبوبكر بن القوطية، المؤسسة الوطنية للكتاب، تح وتعليق إسماعيل العربي، ط ،1989، ج 1 .

11. تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عباس دار الثقافة، بيروت.

12. تاريخ الطبري . تاريخ الأمم والملوك . لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2،1424هـ - 2003م، ج 8.

13. تاريخ بني زيّان ملوك تلمسان، التنسي محمد بن عبد الله ،تح محمد بو عياد، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1985م.

14. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن محمد القرطبي، دار الفكر، لبنان، 1999: ج7.

15. الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية في ذكر الأخبار المراكشية، لمؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن عشر (مجهول)، حققه د.سهيل زكار وأ. عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الطبعة 1، 1399هـ . 1979م.

16. حياة الشعر في نهاية الأندلس، حسناء بوزويتة الطرابلسي، دار محمد علي، ط1، تونس، 2001.

17. حياة وآثار ابن خفاجة، حمدان حجاجي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

18. دراسات في الأدب الأندلسي.

19. دول الطوائف منذ قيامها وحتى الفتح المرابطي، عبد الله محمد عنان، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1997،4.

20. ديوان ابن الروميّ، أبو الحسن بن العباس بن جريج، شرح مجيد طراد، دار الجيل، ط1،بيروت، 1998،ج6.

21. ديوان ابن رشيق القيرواني، تح محي الدين ديب وإشراف ياسين أيوبي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت.

22. ديوان الشوقيات، أحمد شوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 1 و 2.

23. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (542هـ)، تح: د.إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا . تونس، 1978 م. (542هـ)، تحقيق: د.إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا . تونس، 1978 م: 1/2.

24. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، دار الكتب المصرية، القاهرة.

25. الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي، جمعة شيخة، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، تونس، 1994م .

26. في الأدب الأندلسي، محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت.

27. قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ،الفتح بن خاقان تقديم محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.

28. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط 1، سنة 2000، ج8.

29. المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده، معهد المخطوطات لجامعة الدول العربية، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، 1391هـ .1971م.

30. معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، د.حاكم حبيب الكريطي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2000

31. المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ج1، 1964م.

32. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقّري التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صاد، الطبعة 2، بيروت، 1968م، ج1.